



بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس (شرح السنة للبرهاري) شرح الشيخ (علي الرملي) حفظه الله

المستوى الثاني

الدرس رقم (17)

التاريخ: الأحد 14/ صفر/ 1441 هـ

13/ أكتوبر/ 2019 م

الدرس السابع عشر من شرح السنة للبرهاني

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله؛ أمّا بعد:

قال المؤلف رحمه الله: ([95] **واعلم أنّ المتعة - متعة النساء - والاستحلال: حرامٌ إلى يوم القيامة**)

المتعة عند علماء الشريعة تُطلق على:

- متعة النساء،

- وعلى متعة الحج.

المتعة في الحج: هي أن تعتمر وتتحلّل في أشهر الحج، ثمّ بعد ذلك تأتي بأعمال الحج. وكلامنا هنا عن المتعة الثانية؛ وهي متعة النساء، وليست الأولى؛ لذلك قيدها وقال: متعة النساء؛ كي يخرج متعة الحج.

فقال: (**واعلم أنّ المتعة - متعة النساء - والاستحلال حرامٌ إلى يوم القيامة**)؛

يعني: استحلال الفروج التي حرّمها الله تبارك وتعالى؛ ومنها متعة النساء: حرام إلى يوم القيامة. ومتعة النساء كانت في أول الإسلام؛ وذلك بأنّ يتزوج الرجل المرأة وقتاً محدوداً، على أن يُعطِيها شيئاً مُقابل هذا الزواج، يتزوجها يوماً، أو يومين، أو ثلاثة أو أكثر؛ ويُعطِيها شيئاً، ثمّ يتركها بعد ذلك؛ يعني هو نكاح استمتاع؛ لذلك سُمِّي نكاح المتعة.

وكان هذا جائزاً في بداية الإسلام؛ لأنّ الشريعة عندما جاءت في بداية الأمر جاءت بالتدريج؛ كما هو الحال في الخمر مثلاً وتحريمه؛ لم يُحرّم مباشرة؛ إنما في البداية حرّم عليهم أن يُصلّوا وهم سكارى، ثمّ بعد ذلك حرّم الخمر، بعد أن تدرّج معهم في التحريم؛ كذلك هنا أيضاً لم يُحرّم الزنا مباشرة؛ بل تدرّج معهم في التحريم بهذه الطريقة؛ فحرّمت هذه الطريقة في النكاح؛ حرّمها النبي ﷺ في غزوة خيبر، ثمّ أباحها يوم فتح مكّة؛ فهي قد مرّت بمراحل:

- المرحلة الأولى: أُحِلَّت،

- ثمّ حرّمت يوم خيبر،

- ثمّ أبيحت يوم فتح مكّة،

- ثُمَّ حُرِّمَتْ تَحْرِيمًا مُؤَبَّدًا؛

جاء في حديث سبرة الجُهني أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنِّي قَدْ كُنْتُ أَذْنْتُ لَكُمْ فِي الْإِسْتِمْتَاعِ مِنَ النِّسَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْهُنَّ شَيْءٌ فَلْيُخْلِ سَبِيلَهُ، ﴿وَلَا تَأْخُذُوا مِمَّا آتَتْكُمْوهُنَّ شَيْئًا﴾" (1) (2)، أَي: مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ امْرَأَةٌ نَكَحَهَا بِالْمَتْعَةِ؛ فَلْيُتْرِكْهَا، ﴿وَلَا تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمْوهُنَّ شَيْئًا﴾؛ أَي: مَا أُعْطِيَتْهَا مُقَابِلَ هَذِهِ الْمَتْعَةِ؛ لَا تَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا، وَفِي لَفْظٍ: "أَمَرْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْمَتْعَةِ عَامَ الْفَتْحِ حِينَ دَخَلْنَا مَكَّةَ، ثُمَّ لَمْ نَخْرُجْ مِنْهَا حَتَّى نَهَانَا عَنْهَا".

إِذَا كَانَ اسْتِقْرَارُ الْأَمْرِ عَلَى تَحْرِيمِ هَذَا النِّكَاحِ؛ الَّذِي هُوَ نِكَاحُ الْمَتْعَةِ، وَصَارَ صُورَةٌ مِنْ صُورِ الزَّنا بَعْدَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ مُحَرَّمٌ وَنِكَاحٌ بَاطِلٌ لِمَنْ عَمِلَهُ، وَأَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى تَحْرِيمِ هَذَا النِّكَاحِ وَأَنَّهُ نِكَاحٌ بَاطِلٌ، وَلَمْ يُخَالَفْ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ إِلَّا الرَّافِضَةُ الشَّيْعَةُ الْجَعْفَرِيَّةُ، الرَّافِضَةُ هُمُ الَّذِينَ خَالَفُوا فِي هَذَا، وَيَتَعَامَلُونَ بِهِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا؛ فَصَارَ شَعَارًا فَارِقًا مَا بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالرَّافِضَةِ؛ وَخِلَافُهُمْ طَبْعًا لَا عِبْرَةَ بِهِ، وَلَا يَنْقُضُ الْإِجْمَاعَ؛ لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَسَاسًا.

قال المؤلف - رحمه الله -: ([96] **وَاعْرِفْ لِبَنِي هَاشِمٍ فَضْلَهُمْ؛ لِقَرَابَتِهِمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَاعْرِفْ فَضْلَ قُرَيْشٍ وَالْعَرَبِ وَجَمِيعِ الْأَفْخَادِ، فَاعْرِفْ قَدْرَهُمْ وَحُقُوقَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ، وَمَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ، وَتَعْرِفْ لِسَائِرِ النَّاسِ حَقَّهُمْ فِي الْإِسْلَامِ**)

يعني أعطي النَّاسَ حقوقهم ونزلهم منازلهم؛ فكلَّ واحدٍ مِنَ النَّاسِ قَدْ أَعْطَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْإِسْلَامِ حَقَّهُ؛ فَتَعَلَّمْ شَرَعَ اللَّهُ كَيْ تَعْرِفَ حَقَّ فَلَانٍ فَتُعْطِيَهُ إِيَّاهُ؛ فَالْمُسْلِمُ لَهُ عَلَيْكَ حَقٌّ؛ الْهَاشِمِيُّ لَهُ عَلَيْكَ حَقٌّ لِهَاشِمِيَّتِهِ، الْعَرَبِيُّ لَهُ عَلَيْكَ حَقٌّ، الْقُرَشِيُّ لَهُ عَلَيْكَ حَقٌّ، جَارُكَ لَهُ عَلَيْكَ حَقٌّ، أَخُوكَ لَهُ عَلَيْكَ حَقٌّ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ لَهُ حَقٌّ جَعَلَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَهُ عَلَيْكَ؛ وَوَجِبَ عَلَيْكَ أَنْ تَعْرِفَ لَهُ حَقَّهُ، وَأَنْ تُعْطِيَهُ إِيَّاهُ.

1- [البقرة:229]

2- أخرجه مسلم (1406)

قال: (اعرف لبني هاشم فضلهم):

مَكَانَتِهِمْ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةٍ،

وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ" (1)،

إِسْمَاعِيلُ لَهُ أَوْلَادٌ وَمِنْهُمْ كِنَانَةٌ، كِنَانَةُ اصْطَفَاهُ اللَّهُ مِنْ أَوْلَادِ إِسْمَاعِيلِ؛ يَعْنِي اجْتَبَاهُ وَاخْتَارَهُ، وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةِ قُرَيْشٍ،

وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ،

وَاصْطَفَى النَّبِيُّ ﷺ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ؛

فَالنَّبِيُّ ﷺ خِيَارٌ مِنْ خِيَارٍ مِنْ خِيَارٍ؛ هُوَ مُصْطَفَى وَمُنْتَخَبٌ مِنْ بَيْنِ هَؤُلَاءِ النَّاسِ جَمِيعًا، فِي

هَذَا الْحَدِيثِ يَتَبَيَّنُ لَنَا فَضْلُ الْعَرَبِ، وَفَضْلُ قُرَيْشٍ، وَفَضْلُ بَنِي هَاشِمٍ، هَذَا التَّفْضِيلُ،

وَالْأَفْضَلِيَّةُ، وَالْفَضْلُ؛ كُلُّهُ لِلْجِنْسِ وَلَيْسَ لِلْأَشْخَاصِ؛ فَالنَّاسُ يَتَفَاضِلُونَ أَسَاسًا فِي دِينِ اللَّهِ

تَبَارَكَ وَتَعَالَى، كُلَّمَا كَانَ الْعَبْدُ أَقْرَبَ إِلَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ غَيْرِهِ؛ فَالتَّفَاضُلُ

يَحْصُلُ بِالْإِسْلَامِ؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا

أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى" (2)؛ بِتَقْوَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ يَعْنِي

بِالصَّالِحِ؛ "كُلُّكُمْ لِآدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تَرَابٍ" (3)،

هَذَا الْكَلَامُ عَنِ الْأَشْخَاصِ؛ لَا فَضْلَ لَزَيْدٍ عَلَى عَمْرٍو إِلَّا بِتَقْوَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛

فَتَقْوَى اللَّهِ هِيَ الْفَاصِلَةُ بَيْنَ النَّاسِ فِي التَّفْضِيلِ، رُبَّ رَجُلٍ عَجَمِيٍّ أَفْضَلُ مِنْ آلَافِ الْعَرَبِ، وَرُبَّ

رَجُلٍ عَرَبِيٍّ أَفْضَلُ مِنْ آلَافِ الْعَجَمِ؛ عَلَى حَسَبِ قُرْبِهِ وَبُعْده مِنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ الْفَاصِلُ مَا

بَيْنَ النَّاسِ؛ هُوَ تَقْوَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ الْبُعْدُ وَالْقُرْبُ مِنْ دِينِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لَكِنْ

الْكَلَامُ هُنَا مِنْ حَيْثُ الْجِنْسُ كَأَجْنَاسٍ؛ شُعُوبٌ أَوْ قَبَائِلُ؛ نَقُولُ: الْجِنْسُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ؛

وَهُنَا يُسْتَشْكَلُ هَذَا الْأَمْرُ عَلَى بَعْضِ إِخْوَانِنَا؛ لِذَلِكَ أَحَبُّ أَنْ أَقْرَأَ لَهُ كَلَامَ هَذَا الْعَالَمِ الْعَجَمِيِّ

1- أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (2276) عَنْ وَائِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ

2- أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (23489) فِي مُسْنَدِ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: قَالَ أَبُو نُزَيْرٍ: حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي وَسْطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ...، وَفِي "شُعْبِ الْإِيمَانِ" (4774): مِنْ حَدِيثِ أَبِي نُزَيْرٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي وَسْطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ خُطْبَةَ الْوَدَاعِ...".

3- أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (8736)، وَأَبُو دَاوُدَ (5116)، وَالتِّرْمِذِيُّ (3956) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبْيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَفَحَّرَهَا بِالْأَبَاءِ الْمُؤْمِنِينَ تَقِيًّا، وَفَاجِرٌ شَقِيًّا، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لَيَدَعَنَّ رَجُلًا فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ، إِنَّمَا هُمْ فَخْمٌ مِنْ فَخْمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجِغَلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتْنَ»

ليس عربياً؛ هو عجمي فجيد أن يأتي الكلام منه هو بالذات حتى لا يبقى في النفوس شيء، هذه المسألة بالذات راجعي فيها كثير من إخواننا العجم؛ لأنهم فهموها بشكل خاطئ، فنحن نقرأ ما كتبه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في هذه المسألة؛ وهو كلام نفيس حقيقة من عالم رباني في هذه المسألة، يقول بعد أن ذكر حديث: "إذا ذلت العرب ذل الإسلام"؛ وهو حديث مكذوب ليس بصحيح⁽¹⁾؛

قال: "ولولا أن في معناه ما يدل على بطلانه؛ لاقتصرت على تضعيفه" يعني: لولا أن الحديث نفسه فيه من المعنى ما هو باطل لضعفه ومشى؛ لكن فيه معنى باطلاً؛ فأراد أن ينبه عليه. فقال: "ذلك لأن الإسلام لا ينطبق عزه بالعرب فقط؛ بل قد يعزّه الله بغيره من المؤمنين؛ كما وقع ذلك زمن الدولة العثمانية ولا سيما في أوائل أمرها؛ فقد أعزّ الله بهم الإسلام حتى امتدّ سلطانه إلى أواسط أوربا، ثم لما أخذوا يحيدون عن الشريعة إلى القوانين الأوروبية؛ يستبدلون الأدنى بالذي هو خير؛ تقلص سلطانهم عن تلك البلاد وغيرها، حتى لقد زال عن بلادهم أيضاً؛ فلم يبق فيها من المظاهر التي تدلّ على إسلامهم إلا الشيء اليسير؛ فذلّ بذلك المسلمون جميعاً بعد عزّهم، ودخل الكفار بلادهم واستذلّوهم إلّا قليلاً منها، وهذه وإن سلّمت من استعمارها إيّاها ظاهراً؛ فهي تستعمرها بالخفاء تحت ستار المشاريع الكثيرة كالاقتصاد ونحوه؛ فثبت أن الإسلام يعزّ ويذلّ بعزّ أهله وذلّهم؛ سواء كانوا عرباً أو عجماً، ولا فضل لعربي على عجمي إلّا بالتقوى؛ فاللهم أعزّ المسلمين، وألهمهم الرجوع إلى كتابك وسنة نبيك؛ حتى تعزّ بهم الإسلام.

بيد أن ذلك لا ينافي أن يكون جنس العرب أفضل من جنس سائر الأمم؛ فهذا هو الذي أوّمن به وأعتقده وأدين الله به، وإن كنت ألبانياً؛ فإني مسلم والله الحمد؛ ذلك لأن ما ذكرته من أفضلية جنس العرب؛ هو الذي عليه أهل السنة والجماعة، ويدلّ عليه مجموعة من الأحاديث الواردة في هذا الباب؛ منها قوله ﷺ: "إن الله اصطفى من ولد إبراهيم: إسماعيل، واصطفى من ولد

1- أخرجه أبو يعلى (1881) عن جابر بن عبد الله، وقد حكم عليه الشيخ الألباني رحمه الله بالوضع في "الضعيفة" (163).

إسماعيل: بني كِنانة، واصطفي من بني كِنانة: قريش، واصطفي من قريش: بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم⁽¹⁾ رواه أحمد والترمذي وغير ذلك مما ذكر من تخريجه.

ثم قال: "ولكن هذا ينبغي أن لا يحمل العرب على الافتخار بجنسه؛ لأنه من أمور الجاهلية التي أبطلها نبينا محمد العربي ﷺ على ما سبق ببيانه، كما ينبغي ألا نجهل السبب الذي به استحق العرب الأفضلية؛ وهو ما اختصوا به في عقولهم وألسنتهم وأخلاقهم وأعمالهم، الأمر الذي أهّلهم إلى أن يكونوا حملة الدعوة الإسلامية إلى الأمم الأخرى، فإنه إذا عرف العربي هذا، وحافظ عليه؛ أمكنه أن يكون مثل سلفه عضواً صالحاً في حمل الدعوة الإسلامية، أما إذا هو تجرّد من ذلك؛ فليس له من الفضل شيء؛ بل الأعجمي الذي تخلّق بالأخلاق الإسلامية هو خير منه دون شك ولا ريب؛ إذ الفضل الحقيقي إنما هو اتباع ما بُعث به محمد ﷺ من الإيمان والعلم به؛ فكل من كان فيه أمكن؛ كان أفضل، والفضل إنما هو بالأسماء المحددة في الكتاب والسنة؛ مثل: الإسلام، والإيمان، والبر، والتقوى، والعلم، والعمل الصالح، والإحسان ونحو ذلك؛ لا بمجرد كون الإنسان عربياً أو أعجمياً؛ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وإلى هذا أشار بقوله: "من بطأ به عمله لم يُسرّع به نسبه" رواه مسلم⁽²⁾، ولهذا قال الشاعر العربي:

لسنا وإن أحسابنا كرمّت
يوماً على الأحساب نتكل
نبنينا كما كانت أوائلنا
تبنينا ونفعل مثلما فعلوا

وجملة القول: إن فضل العربي إنما هو لمزايا تحققت فيه، فإذا ذهبت بسبب إهمالهم لإسلامهم؛ ذهب فضلهم، ومن أخذ بها من الأعاجم؛ كان خيراً منهم؛ "لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى"، ومن هنا يظهر ضلال من يدعو إلى العروبة، وهو لا يتّصف بشيء من خصائصها المفضلة؛ بل هو أوربي قلباً وقالباً⁽³⁾ انتهى

1- أصله عند مسلم من حديث واثلة بن الأسقع -وقد تقدم تخريجه- دون لفظ الاصطفاء الأول، وهو بهذا اللفظ عند الترمذي (3605)، وغيره.

2- (2699) عن أبي هريرة

3- "السلسلة الضعيفة" (302-304/1)

وفي هذا الكلام ما يكفي ويشفي إن شاء الله في هذه المسألة.

قال المؤلف .رحمه الله .: ([97] **واعْرِفْ فَضْلَ الْأَنْصَارِ وَوَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيهِمْ، وَآلِ الرَّسُولِ؛ فَلَا تَسِبَّهُمْ، واعْرِفْ فَضْلَهُمْ وكراماتهم، وجيرانَهُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ؛ فَاعْرِفْ فَضْلَهُمْ**)
الأنصار هم الأوس والخزرج الذين كانوا في المدينة، وهؤلاء نصرُوا النَّبِيَّ ﷺ وأعانوه، وأعزَّ الله بهم الإسلام؛ لذلك كانت لهم مَزِيَّةٌ وفضل؛ وبهذا يتفاضل النَّاسُ، كلُّما كان الإنسان أكثر نفعاً لدين الله؛ كان أعظم وأقرب من غيره، قال النَّبِيُّ ﷺ: "آيةُ الإيمان حبُّ الأنصار وآيةُ النِّفاق بغضُ الأنصار"⁽¹⁾، لماذا كان هذا هكذا؟

لأنَّ الأنصار- كما ذكرنا- قد نصر الله بهم الدِّينَ، وأعزَّ بهم الإسلام ونصروا نبيَّه ﷺ، فمن أبغضهم أبغضهم لذلك، ومن أحبهم أحبهم لذلك، فبِمَحَبَّتِكَ للنبي ﷺ، وبِمَحَبَّتِكَ لدينه؛ تحبُّ من ينصُرُه، ومن يُعِينُه؛ فبذلك تكون مُحِبًّا للأنصار؛ لذلك آيةُ الإيمان- يعني علامته التي تدلُّ عليه-: حبُّ الأنصار، وآيةُ النِّفاق بُغْضُ الأنصار، عندما تبغض الأنصار وتكرههم؛ لماذا؟
لأنَّهم نصرُوا النَّبِيَّ ﷺ وأعانوه وأعزَّ الله بهم الإسلام؛ إذاً فأنت في حقيقة الأمر تُبْطِنُ الكفر، وتُظْهِرُ الإيمان؛ وهذا معنى النِّفاق، فأيته وعلامته التي تُظْهِرُك وتُبَيِّنُكَ للنَّاسِ؛ أنَّكَ تُبْغِضُ الأنصار.

ومن هذا الحديث أخذ علماء السَّلف رضي الله عنهم الامتحان بالأشخاص؛ فهو أصلٌ عندنا في ذلك؛ تمتحن النَّاسُ بالأشخاص، إذا عُرِفَ الرجل بالعلم والفضل والتقوى والصَّلاح في بلاده، وعُرِفَ بالسَّنة والدَّعوى إليها ومُحاربة من يُخالفها؛ امتحن العلماء النَّاسَ به؛ كي يعرفوا السَّيِّئ من البِدعي؛ لذلك ما زال السَّلف على هذا؛ كانوا يمتحنون النَّاسَ بالإمام أحمد بن حنبل، إذا دخل الشَّخص إلى بغداد؛ يقولون له: ماذا تقول في أحمد؟ فإذا أثنى عليه خيراً؛ فهو صاحب سَنَّة، وإذا ذكره بسوء؛ فهو صاحب بدعة، وكذلك كانوا يفعلون مع حمَّاد، والأوزاعي، والفَزاري، وابن المبارك، وغيرهم من أئمة السَّنة، ذكروا الكثير؛ قالوا: إذا رأيت الشَّامي يذكر الفزاري أو الأوزاعي بخير؛ فهو صاحب سَنَّة، وإذا رأيتَه يذكرهم بسوء؛ فهو صاحب بدعة؛

1- أخرجه البخاري (17)، ومسلم (74) عن أنس رضي الله عنه.

كذلك ابن المبارك عند الخرساني، وحمّاد في البصرة؛ وهكذا؛ فكانوا يمتحنون الناس بهؤلاء الأئمة.

لكن الامتحان لا يكون بأيّ شخص يظهر؛ يقول: فلان سني، فلان بدعي، فلان مبتدع فلان كذا؛ خلاص يُمتحن النَّاسُ به؛ لا؛ لا بد أن يشتهر بين أهل العلم بالعلم بالخير، بالفضل، بالصّلاح، بالتدبُّن، بالاعتدال، بالإنصاف، بالسّنة، إذا اشتهر عند أهل العلم بهذا؛ عندئذٍ امتحنوا النَّاسَ به، ودليل الامتحان ما ذكرناه من حديث: "آية الإيمان حبُّ الأنصار، وآية النّفاق بغض الأنصار"، وكذلك قوله ﷺ: "وأوصيكم بالأنصار فإنّهم كرشي وعيبتي، وقد قَضَوْا الذي عليهم، وبقيَ الذي لهم؛ فاقبلوا من مُحسنهم، وتجاوزوا عن مُسيئهم"⁽¹⁾؛ هذه وصيّة النبي ﷺ بالأنصار، ومعنى كرشي وعيبتي: أنهم بطانتي وخاصتي، وموضع سرّي وأمانتي؛ فاستَوْصُوا بهم خيراً.

وكذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه- قبل موته بقليل- أوصى الخليفة الذي يأتي من بعده أن يستَوْصي بالأنصار خيراً؛ لماذا؟

لما قدّموا للإسلام وللنبي ﷺ من نُصرة ومُؤنة؛ لذلك حصلوا على هذا الفضل وهذه المكانة، وهذه الوصيّة من النبي ﷺ؛ فنحن نحب الأنصار ونتقرّب إلى الله سبحانه وتعالى بذلك، ونعرف لهم فضلهم ومكانتهم.

وكانوا من سُكّان المدينة، وخرج الكثير منهم منها؛ لكن بقي إلى الآن بعض القبائل الأصلية في المدينة، وليسوا الأكثر أو الأغلب هناك؛ فقد اختلطت المدينة؛ ولكن مازالت توجد قبائل من الأنصار الأصلية في المدينة، ويوجد من هُم هنا في الشّام، وكما يوجد في اليمن؛ فقد تفرّقوا.

قال: **(وَالرَّسُولُ فَلَا تَسْمِيَهُمْ، وَاعْرِفْ فَضْلَهُمْ وَكِرَامَاتَهُمْ)**

آل الرّسول؛ المقصود بآل الرسول ﷺ هنا: كلُّ من حرّمت عليه الزّكاة فهو من آل الرّسول ﷺ؛ يعني بنو هاشم كلّهم يشملهم هذا الوصف أنّهم من آل رسول الله ﷺ؛ وأزواجه ﷺ منهم؛ فالواجب احترامهم ومعرفة قدرهم، ومعرفة وصيّة النبي ﷺ واحترامها فيهم؛ فقد جاء عن

1- أخرجه البخاري (3799)، ومسلم (2510) عن أنس رضي الله عنه.

النبي ﷺ في خطبته في غدير حُم؛ عن زيد بن أرقم؛ قال: قال رسول الله ﷺ: "أما بعد ألا أيها الناس؛ فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب؛ وأنا تارك فيكم ثقلين؛ أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور؛ فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به"، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: "وأهل بيتي؛ أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي"⁽¹⁾، هذه وصية النبي ﷺ؛ فنعرف لهم فضلهم ومكانتهم، ونحترمهم، ولا نسيء إليهم، ولا نسبهم؛ بل نحُبهم ونحترمهم.

هذا كله في المسلمين منهم؛ لأن الذي ليس مُسَلماً منهم؛ فهذا ليس من أهل بيت النبي ﷺ - وإن كان نسباً منهم-؛ فإن النبي ﷺ قال: "أَلَا إِنَّ آلَ أَبِي - يَعْنِي فَلَانًا - لَيَسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ، إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللَّهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ"⁽²⁾.

قال: (وجيرانه من أهل المدينة؛ فاعرف فضلهم)

يعني المسلمين الذين سكنوا المدينة وصبروا على شدتها؛ اعرف لهم فضلهم. وبالجملة أصحاب النبي ﷺ سواء كانوا من المهاجرين أو من الأنصار أو من غيرهم، بما أنهم صحبوا النبي ﷺ؛ فلهم فضلهم، ولهم مكانتهم، نحُبهم ونحترمهم ونعرف لهم قدرهم، ولا نسبهم، ولا نذكرهم بسوء؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد ذكرهم في كتابه، وذكرهم النبي ﷺ في سنته، وأثنوا عليهم خيراً؛ فالواجب علينا أن نتبع ما أمر الله تبارك وتعالى به في حقهم، وما أمر النبي ﷺ؛ قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾⁽³⁾، وقال جل في علاه: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ

1- أخرجه مسلم (2408)

2- أخرجه البخاري (5990)، ومسلم (215) عن عمرو بن العاص رضي الله عنه؛ واللفظ لمسلم.

3- [التوبة:100]

وَأَنَابَهُمْ فَتَحًا قَرِيبًا⁽¹⁾، وقال أيضاً: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ

بَيْنَهُمْ...﴾⁽²⁾، إلى آخر الآيات، والآيات في هذا كثيرة،

وقال سبحانه وتعالى في الإنجيل: ﴿كَزَرَاعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ

الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾، استنبط الإمام مالك . رحمه الله . أن كل من يبغض أحداً من

أصحاب النبي ﷺ فهو كافر؛ لأن الله تعالى قال: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ فمن يغتاظ من أصحاب

النبي ﷺ؛ فهو كافر بنص هذه الآية.

وقال النبي ﷺ: "لا تسبوا أصحابي؛ فلو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهباً؛ ما بلغ مدَّ أحدِهِم ولا

نصيْفَه" ⁽³⁾،

انظروا! لماذا ذكر النفقة بالذات؛ لأنهم بالنفقة كانوا يعينون دعوة النبي ﷺ، ويُعينون النبي

ﷺ على نشر الإسلام بإنفاقهم؛ فمدُّ أحدِهِم - حفنة يده - هذه؛ أنت لو أنفقت مثل أحدٍ، هذا

الجبيل الضخم الكبير من الأموال؛ ما بلغت مدَّ أحدِهِم؛ لأنَّ هذا المد قد أعان الله سبحانه

وتعالى به على نُصرة النبي ﷺ ونُصرة الإسلام في أول أمره، والأمر عندما يكون في وقت الشدة

والضنك، وتكون الحاجة إليه أكبر؛ يكون أجره ومثوبته أعظم،

وكذلك عندما يكون الأمر في نُصرة الدين في بداية ظهوره؛ يختلف عن النفقة عندما يقوى

الدين وينتشر بين الناس، وكذاك النفقة من الشخص الفقير الذي عنده قلة في ذات يده؛

ليست كالنفقة التي يُنفقها صاحب الأموال الكبيرة؛ هذا الذي هو فقير ويُنفق المال الذي

عنده؛ تكون حاجته لهذا الدين الذي يُنفقه أعظم من حاجة الغني الذي يُنفق ألف دينار؛

فنفقة الدينار هذه تكون أعظم أجراً من الألف؛ لأن صاحب الألف عنده مكانها آلاف، أمّا

صاحب الدينار؛ فربّما لا يكون عنده غيره؛ فيكون أجره أعظم عند الله سبحانه وتعالى؛ فلهذا

كانت نفقة الصحابة رضي الله عنهم، في عهد النبي ﷺ أعظم من نفقة من جاء بعدهم، ونُصرة

1- [الفتح:18]

2- [الفتح:29]

3- أخرجه البخاري (3673)، ومسلم (2541) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وأخرجه مسلم (2540) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

هؤلاء وجهادهم مع النبي ﷺ أعظم من جهاد من جاء بعدهم؛ هذا كله من فضل الصحابة وما اختاره الله سبحانه وتعالى لهم؛ فلذلك نعرف لهم قدرهم ولا نذكرهم إلا بالخير.

ونسكت عما شجر بينهم؛ فما وقع بينهم من خلافات لا علاقة لنا بها؛ هذه أمرها إلى الله سبحانه وتعالى؛ لكن نحن نعلم وعلى يقين بأنهم عُدول ثقات، وأنهم يريدون الله واليوم الآخر، وقد أثنى الله سبحانه وتعالى عليهم في كتابه، هم بشر يجتهدون، ويصيبون ويخطئون؛ فربما يصابون في اجتهادهم وربما يخطئون؛ فمعنى ذلك أننا لا نذكرهم إلا بخير؛ هذا الذي أوجبه الله علينا، وهذا الذي أمرنا به النبي ﷺ؛ "إذا ذكر أصحابي فأمسكوا"⁽¹⁾؛ تذكر هذا دائماً؛ "إذا ذكر أصحابي فأمسكوا"، وتذكر فضلهم، وأن الله قد أعد لهم محلاً ومكاناً في جنات النعيم؛ إذا فهم قد ماتوا على خير، وماتوا على التوحيد، وعلى السنة؛ حيث إن الله سبحانه وتعالى قد قبلهم، ورضي بهم، ورضي عنهم، وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار؛ فلا دخل لك أنت بعد ذلك، ما عليك إلا أن تسكت ولا تتدخل فيما شجر بينهم. رضي الله عنهم.

ويُعجبني أثر عن أحد السلف رضي الله عنهم؛ فقد قال أبو القاسم ابن أخي أبي زرعة الرازي: "جاء رجل إلى عمي أبي زرعة، فقال له: يا أبا زرعة! أنا أبغض معاوية، قال: لم؟ قال: لأنه قاتل علي بن أبي طالب، قال: فقال له عمي: "إن رب معاوية رب رحيم، وخصم معاوية خصم كريم؛ فأيش دخولك أنت بينهما رضي الله عنهم أجمعين"⁽²⁾.

أي: أنت ما لك علاقة؛ رب معاوية رب رحيم، وخصم معاوية- الذي هو علي- خصم كريم؛ أنت أيش دخلك بينهم؟

وكما قال أحد السلف الآخرون: "فتنة عصم الله منها سيوفنا؛ فلنعصم منها ألسنتنا"⁽³⁾.

لا علاقة لنا بما شجر بينهم والله يفصل بينهم، نحن نعمل بما أمر به النبي ﷺ؛ "إذا ذكر أصحابي فأمسكوا"

1- صححه الشيخ الألباني في "الصحيحة" (34) بمجموع طرقه.

2- أخرجه ابن عساکر في "تاريخ دمشق" (141/59).

3- تنسب إلى ابن المبارك، ولم أقف عليها في كتاب مسند

عندنا أدلة يقينية لا شك فيها، أنهم مرضي عنهم ، وأنهم في الجنة ؛ إذاً ما بقي لنا كلام بعد ذلك.

ثم قال المؤلف .رحمه الله .: ([98] **واعلم أن أهل العلم لم يزالوا يردون قول الجهمية، حتى كان في خلافة بني العباس؛ تكلمت الرويضة في أمر العامة، وطعنوا على آثار رسول الله ﷺ، وأخذوا بالقياس والرأي، وكفروا من خالفهم**)

أهل العلم من أهل السنة لم يزالوا من قديم الزمان من العصور الأولى، من القرون الثلاثة المفضلة، وما بعدها من أهل الخير؛ يردون قول الجهمية من يوم أن خرجوا.

الجهمية: أتباع الجهم بن صفوان،

وجهم بن صفوان هذا: أحد دعاة الضلال أحد دعاة الكفر الذين أخذوا عن الجعد بن درهم،

والجعد بن درهم هذا أخذ عن طالوت اليهودي،

وطالوت أخذ عن لبيد بن الأعصم؛ يهودي؛ فأصل دينهم مأخوذ عن اليهود؛

تعلموا على أيديهم، واليهود أرادوا أن يفعلوا في دين الإسلام ما فعلوه في دين النصارى؛ فهذا حالهم دائماً: الإفساد في الأرض؛ فهم مفسدون في الأرض؛ فحاولوا أن يفسدوا دين الإسلام عن طريق مرضى القلوب كالجعد بن درهم، والجهم بن صفوان ومن شابههم

أخذوا الشبهات عن هؤلاء اليهود وبدأوا ببثها ونشرها بين المسلمين!

لو جاءك يهودي؛ وقال لك: دينك باطل؛ ترجمه بالحجارة؛ لكن عندما يأتيك بالشبهات ويُرْكِبها في رأسك؛ يأخذك من دينك ويخرجك منه وأنت تضحك- كما يُقال؛ فرح بما تفعل!- كيف؟!

من خلال الجهل؛ عندما يكون المرء جاهلاً؛ يستطيع من أراد مكرراً بالإسلام أن يلبس على الجاهل، وأن يقنعه بأشياء هي مخالفة لدين الله وشرعه؛ كما سيأتي كلام المؤلف .رحمه الله.

فالجهم بن صفوان هذا كانت عقيدته الكلام في رب العالمين، لم يكفه أن يتكلم في العلوم

الشرعية المختلفة؛ حتى تجاوز ذلك إلى الكلام في رب العالمين، وتكلم في الله بعقله الفارغ

المريض بالخرافات والخزعبلات؛ فأخذ ينفي عن الله تبارك وتعالى ما أثبت لنفسه من أسماء

وصفات؛ فيقول: ليس برحمن، ولا رحيم، ولا له يد، ولا كذا، ولا كذا، ولا فوق، ولا



تحت، ولا يمين، ولا يسار، ولا كذا، ولا شيء! نفْيُ كُلِّهِ!

قالوا له في النهاية: أنت مالك رب؛ لأنك أنت تنفي كل شيء؛ يعني لو أرادوا منك أن تصف العدم؛ ما استطعت أن تصفه بأكثر مما تصف ربك؛ يعني أنت في النهاية تعبد عدماً شيئاً معدوماً غير موجود؛ لا كذا ولا كذا ولا كذا ولا كذا! إيش بقي؟!

ما بقي شيء؛ إذا حقيقة أنت تعبد شيئاً معدوماً غير موجود، وعابد الصنم أفضل حالاً منك؛ لأنه يعبد على الأقل شيئاً موجوداً؛ وأنت تعبد شيئاً غير موجود؛ هذه حقيقة مقالة الجهم بن صفوان؛ وعنده ضلالات كثيرة:

ففي باب الإيمان؛ هو: من غلاة المرجئة.

في باب القدر هو: جبري.

في الأسماء والصفات: من المعطلة..... الخ

عنده ضلالات كثيرة ومختلفة؛ لذلك يقول المؤلف هنا: **(لا يزال أهل العلم يردون قول الجهمية)**

في كل ما خالفوا فيه السنة؛

(حتى كان في خلافة بني العباس)،

أي: لا زال العلماء يردون على الجهمية، ويردون أقوالهم ولا يرتضونها؛ إلى أن جاء وقت خلافة بني العباس- في آخرها تقريباً، وليس في مطلعها؛ ففي أولها كانت خيراً لا بأس بها؛ لكن بعد ذلك حصل فيها الخلل-، ففي خلافة بني العباس؛ جاء بعض الجهمية مثل ابن أبي دؤاد وكان وزيراً للمأمون؛ فلبس عليه في أمر دينه، وجعله يصل إلى القول بخلق القرآن، وأن القرآن مخلوق-

وهي إحدى مقالات الجهمية- فتبني المأمون هذا القول؛ وهو قول كفري- أن تقول القرآن مخلوق- والقرآن كلام الله؛ فأنت تقول بأن القرآن مخلوق، أو أن الله سبحانه وتعالى لا يتكلم!

هذا الذي يريدونه؛ يريدون نفي صفة الكلام عن الله سبحانه وتعالى؛ فتبني المأمون هذه

المقالة، وصار يمتحن العلماء بها، فمن قال بأنه مخلوق؛ تركه، ومن لم يقل بأنه مخلوق؛

عذبه؛ حتى مات وعذب كثير من العلماء على يديه، وقال من قال ذلك؛ تقيّة؛ حتى يخرج

ويسلم منه، وثبت الإمام أحمد، ومحمد بن نوح، أمّا محمد بن نوح فمات رحمه الله، وأمّا

الإمام أحمد فثبت وثبته الله سبحانه وتعالى إلى أن مات المؤمن،

فالإمام أحمد ثبت على القول بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وكان السلف جميعاً يقولون: من قال القرآن مخلوق؛ فهو كافر؛ فالمقولة مقولة كفرية، وكانوا يردّون عليهم؛ حتّى امتحن المؤمن النّاس بذلك، ونشر هذه البدعة وهذه الضلالة، وقوى شوكة أهل البدع والضلال؛ هذا كلّه حصل متى؟

بعد القرون الثلاثة التي قال فيها النبي ﷺ: "خير النّاس قرني، ثمّ الذين يلونهم، ثمّ الذين يلونهم"، ظهرت البدعة وانتشرت وصار لها قوّة، قبل ذلك كانت موجودة؛ لكنّها مطموسة، ما كانت لهم قوّة، لكن بعد هذه القرون الثلاثة؛ قويت وصارت لهم شوكة وقوّة وضعفت شوكة أهل السنة.

قال: (حتّى كان في خلافة بني العباس)

أي: حتّى جاء الوقت، وصار وقت خلافة بني العباس.

قال: (تكلمت الروبيضة)؛

جاء في الحديث لما ذكر النبي ﷺ علامات الساعة؛ قال: "ويتكلم الروبيضة"، قالوا: ومن

الروبيضة يا رسول الله؟ قال: "الرجل التافه يتكلم في أمر العامة"⁽¹⁾؛ هذا هو الروبيضة.

الروبيضة هو أصلاً: الإنسان التافه الحقير الذي لا يساوي- كما نقول اليوم-: قشرة بصلة؛ يتكلم في أمر العامة.

الكلام في أمر العامة خطير وعظيم، لا يتكلم فيه إلّا رجلاً عظيماً من علماء السنة الراسخين في العلم؛ هم الذين يتصدّرون للكلام في أمور العامّة، التي يترتب عليها مصالح ومفاسد كبيرة؛ كالدماء مثلاً، والتكفير- تكفير الحكّام وما شابه-؛ هذا كلّه يُرجع فيه إلى العلماء الراسخين في العلم؛ لأنّ مصالحها ومفاسدها كبيرة؛ سترجع على المجتمعات، ورُبّما على المسلمين ورُبّما، على دين الله تبارك وتعالى؛ فلذلك يُرجع فيها إلى العلماء الراسخين، وليس أيّ أحد يتكلم في أمور عظيمة كهذه؛ لذلك ذكر النبي ﷺ أنّ من علامات الساعة الروبيضة يتكلم في أمر

1- أخرجه أحمد (7912)، وابن ماجه (4036) عن أبي هريرة، بلفظ: "وينطق فيها الروبيضة"، قيل: وما الروبيضة يا رسول الله؟ قال: "السفيه يتكلم في أمر العامة"، وعند ابن ماجه: "الرجل التافه في أمر العامة".

العامّة؛ يعني رجل تافه حقير، ما يُساوي شيئاً؛ يأتي ويتكلّم في المسائل العظام، فهذا الرّجل الروبضة، جاء وتكلّم في مسائل العقيدة؛ في مسائل عظيمة، لبّس فيها على المأمون، وامتنح الناس في ذلك الوقت، وهو ابن أبي دؤاد الذي التصق بالمأمون، ولبّس عليه في هذه القضية. قال: **(وطعنوا على آثار رسول الله ﷺ)**

كل ما جاء في السّنة عن آثار النّبي ﷺ؛ طعنوا فيه، وتركوه، ولم يأخذوا به في مسائل الاعتقاد، هؤلاء القوم جاؤوا ليُفسدوا دين الله سبحانه وتعالى، ويُفسدوا على المسلمين عقائدهم؛ فلذلك كان عندهم أصل: أن العقيدة؛ الكلام في ربّ العالمين لا يؤخذ من الكتاب والسّنة. إذن من أين يؤخذ؟! هذه مسألة غيبيّة؛ نحن لم نر الله سبحانه وتعالى، ولا نعرف كيفيّةه، ولا نعرف عنه إلّا ما أخبر به في كتابه وفي سنّة النّبي ﷺ في مسائل الأسماء والصفّات. قالوا: لا؛ نحن نتكلّم فيه بالأمر العقلية، فما تُثبتُه عقولنا؛ نُثبتُه، وما تنفيه عقولنا؛ ننفيه. طيّب من أين لكم؛ عقولكم هذه من أين تأتي بالكلام على ربّ العالمين؟ قاسوه على البشر- هذه شبهتهم-؛ قاسوا الله على البشر؛ ثمّ قالوا: لا يليق أن الله سبحانه وتعالى يُشبهه البشر؛ فعكسوه، فكلّ ما صار لائقاً بالبشر؛ صاروا يُنفونه عن الله سبحانه وتعالى؛ هذه طريقتهم.

وما أثبت الله لنفسه في الكتاب والسّنة؛ يُحرّفونه، إذا كان في السّنة، وجدوا سنناً كثيرة تُثبت ما يُنفونه؛ طيب ماذا يفعلون فيها؟ قعدوا قواعد! ماهي؟

القاعدة الأولى: التضعيف؛ يضعّفون الأحاديث؛ هذا الجزء الذي يستطيعون تضعيفه. وأما الجزء الذي لا يستطيعون تضعيفه؛ فيقسم إلى قسمين: آحاد، ومتواتر

- الآحاد: لا نأخذ به في العقيدة لأنه آحاد ليس يقينياً!
- المتواتر: هو الوحيد الذي نأخذ به في العقيدة، وإذا خالف العقل نرّده بالتأويل.
- القرآن: لا نستطيع أن نُضعّفه؛ إذن نرّده بالتأويل؛ يعني لا كتاب وسنّة؛ خلاص. بهذه الطريقة أراحوا أنفسهم من القرآن ومن السّنة؛ وبقيت عقولهم هي الحاكمة على ربّ



العالمين؛ هذه هي عقيدتهم، وهذا هو فكرهم؛ الجهميّة، المعتزلة، الأشاعرة، الماتوريدية، الكلابيّة؛ كلّهم على نفس الوتيرة؛ هذا هو أصلهم الذي يجتمعون عليه: تقديم العقل على النّقل، فمن قدّم العقل عن النّقل؛ فهو ضالّ مُضِلّ مُنحرف؛ بل هو قاب قوسين أو أدنى من الكُفر.

قال: **(وأخذوا بالقياس والرأي، وكفّروا من خالفهم)**

أخذوا بالقياس؛ القياس العقلي؛ قاسوا الله على خلقه، ثمّ أرادوا أن يَفَرّوا من ذلك؛ فعكسوا؛ فوَقَعوا في التّعطيل.

والرأي: العقل فقط؛ المجرّد؛ حكموا به على الله سبحانه وتعالى.

ولم يكتفوا بهذا؛ بل من خالفهم أيضاً كفّروه، فمن قال: القرآن كلام الله غير مخلوق؛ فهو عندهم كافر؛ لأنه مُشَبَّه، والمُشَبَّه كفار عندهم.

هذه هي قاعدتهم دائماً: من أثبت لله ما أثبت لنفسه في القرآن أو في السنّة؛ فهو كافر؛ يعني عندهم: القرآن والسنّة ظاهرهما الكفر، وحتّى نصّ بعضهم على هذا: ظاهر القرآن والسنّة كفر.

قال المؤلف: **(فَدَخَلَ فِي قَوْلِهِمُ: الْجَاهِلُ، وَالْمُغْفَلُ، وَالَّذِي لَا عِلْمَ لَهُ، حَتَّى كَفَرُوا مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ، فَهَلَكَتِ الْأُمَّةُ مَشْنُ وَجُوهُ، وَكَفَرَتْ مِنْ وَجُوهِ، وَتَزَنَّدَقَتْ مِنْ وَجُوهِ، وَضَلَّتْ مِنْ وَجُوهِ، وَتَفَرَّقَتْ وَابْتَدَعَتْ مِنْ وَجُوهِ؛ إِلَّا مَنْ ثَبَتَ عَلَى قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَمْرِهِ وَأَمْرِ أَصْحَابِهِ، وَلَمْ يَتَخَطَّ أَحَدًا مِنْهُمْ، وَلَمْ يُجَاوِزْ أَمْرَهُمْ، وَوَسِعَهُ مَا وَسِعَهُمْ، وَلَمْ يَرْغَبْ عَنْ طَرِيقَتِهِمْ وَمَذْهَبِهِمْ، وَعَلِمَ أَنََّّهُمْ كَانُوا عَلَى الْإِسْلَامِ الصَّحِيحِ، وَالْإِيمَانِ الصَّحِيحِ؛ فَقَلَّدَهُمْ دِينَهُ وَاسْتَرَاخَ، وَعَلِمَ أَنَّ الدِّينَ إِنَّمَا هُوَ بِالتَّقْلِيدِ؛ وَالتَّقْلِيدُ لِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ)**

هذا حال كل فتنة تدبّ في أمة محمد ﷺ؛ مَنْ أَوَّلَ من يدخل فيها، ويستلطفها، ويفرح بها؟ هؤلاء الموصوفون: الجاهل، والمُغْفَل، والذي لا علم عنده؛ هذا مباشرة عندما يأتيه الكلام يدخل فيه؛ لأنه ليس عنده المناعة التي تمنعه من الدّخول في هذا الضلال.

ما هي هذه المناعة؟



هي العلم، عندما يكون عنده علم، وتكون عنده بصيرة؛ لا تلتبس عليه الأمور، لا تتلقّفه الشُّبه؛ بل يَصُدّها بما آتاه الله من العلم، أمّا الجاهل؛ فتجده مباشرةً يدخل في هذه الشبهات. انظروا إلى أفكار الخوارج اليوم! أين تنتشر؟ لاحظوا أنتم، ركّزوا ولاحظوا: تونس من أكثر الدّول التي ينتشر فيها فكر الخوارج؛ لأنّها من أكثر الدّول التي فيها جهل عظيم بشريعة الله، طبعاً السبب أشياء؛ لا نريد أن نذكرها الآن؛ المهم في الموضوع: أنّه شعب قد جُهِل بشريعة الإسلام عمداً؛ كان يُجهِل تجهيلاً بشريعة الإسلام ودين الله، ويُبعد عن الشريعة عمداً؛ حتّى وصلوا إلى هذه الحال، والآن ما الذي حصل؟

ماذا حصل مع الشباب الذين هم فارغون؛ ما عندهم شيء؛ عندهم جهل شديد؟ جاءهم هؤلاء؛ أصحاب هذا الفكر، مباشرة: الشباب عندهم حميّة وحماسة، وفيهم جهل؛ خلاص؛ إذا اجتمع هذان الأمران مباشرة هم مع الخوارج؛ حميّة وحماسة، مع جهل بعلم الشرع؛ إذن مباشرة إلى فكر الخوارج.

هذا من أعظم أسباب انتشار فكر الخوارج؛ سواء كان في تونس أو غيرها، يوجد في دُول ثانية؛ لكن الآن تجد جموعاً كبيرة من أهل تونس، من شباب تونس موجودين في الخوارج؛ ما السبب؟ هو هذا: أنّك تجدهم من أكثر النّاس جهلاً لشريعة الله؛ لا علم عنده، وأما من فتح الله عليه وتعلّم؛ فيكون عنده مانع من الدّخول في هذه الأفكار المضلّة المفسدة.

قال: **(حتى كفروا من حيث لا يعلمون)؛**

كفروا وهم لا يدرون؛ هم يقولون أقوالاً كفرية، ويُقرّرون أشياء كفرية، ويظنّونها توحيداً.

قال: **(فهلكت الأمة من وجوه، وكفرت من وجوه، وتزندق من وجوه)،**

الزندقة: التي هي النّفاق.

قال: **(وضلت من وجوه، وتفرقت وابتدعت من وجوه)،**

وجوه كثيرة من شتّى الأفكار والأقوال التي تجدها اليوم في السّاحة؛ أشياء من الأمور التي تعجب لها؛ أقوال كفرية منتشرة بين النّاس، عقائد، مناهج تنتشر بين المسلمين وتمضي؛ لماذا؟

لعموم الجهل الموجود بين المسلمين اليوم؛ ما في عندهم مناعة تمنعهم من الوقوع في هذه

الضلالات، انظر منذ متى كانت أفكار ماركس، ولينين، وأفكار هؤلاء القوم تنتشر بين المسلمين؟

في زماننا هذا الذي عمّ فيه الجهل؛ هذه المنظمة التي بدأت تنتشر وبقوة بين المسلمين؛ الماسونية؛ كيف تنتشر مثل هذه المنظمة، وتدعو إلى الكفر بين أهل الإسلام؟! من الجهل الموجود عند الناس؛ لا يعرف كوعه من بوعه في دين الله، وعندما يأتيه شخص يُلقي عليه شهيتين؛ مباشرةً ينجرّف معه؛ هذا حال الناس اليوم للأسف؛ فلذلك قال المؤلف هذا الكلام، وهذا في زمنه؛ ففي زماننا الأمر أشد وأعظم.

قال: **(إِلَّا مِنْ ثَبَتَ عَلَى قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)**

هذا هو طريق النّجاة؛ من أراد أن ينجو بنفسه فليتمسك بما كان عليه النبي ﷺ، وبما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ. وليلزم علماء السنّة الذين يدعون إلى هذا المنهج؛ لا يريدون من وراء دعوتهم لا نصرة حزب، ولا نصرة سلطة، ولا يريدون من وراء ذلك مالا ولا دنيا؛ وإنما يريدون أن ينصحوا لدين الله وللمسلمين؛ هؤلاء الذين تأخذ عنهم دينك، أنت تستقرئ وتنظر إلى أحوال الناس وتعرف؛ هذا إذا لم تكن تعرف من هم العلماء، أما إذا كنت تعرف وقد أرشدت ووفقك الله؛ فالزم علماء السنّة وتحرّ أقوالهم؛ خصوصاً في الفتن؛ الفتن أمرها عظيم؛ لا يستطيع أن يفتي فيها أي أحد، ولا يستطيع الشخص أن يرى الحق من الباطل بنفسه فيها؛ حتى يرجع إلى أهل العلم الراسخين في العلم، هم يعرفون، نظرتهم أعظم من نظرتك، هم قد قرأوا وعرفوا، وهذه الفتن التي تمرّ بك قد مرّت من قبل على أمة محمّد ﷺ؛ فهم يعرفونها قبل أن تأتي، بما علمهم الله إياه، ويُنزّلونها على القواعد الشرعيّة المعروفة، لا يُعملون هوى ولا شهوة نفس؛ إنّما قال الله، قال رسول الله ﷺ؛ هذا منظارهم فقط، فإذا عرفت ذلك؛ فالزم طريقهم، ولا تحسّن الظنّ بنفسك؛ أنت ما زلت جاهلاً، لا تتعلّم كلمتين، ثم تظن أنّك أصبحت عالماً؛ أنت ما زلت جاهلاً؛ إذا مرجعك إلى العلماء؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى قال: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾⁽¹⁾؛ هذا هو الطريق الذي تنجو به؛ ثم أنت اختر لنفسك.

(1) [النحل:43]

قال: (إِلَّا مَنْ ثَبَتَ عَلَى قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَمْرِهِ وَأَمْرِ أَصْحَابِهِ، وَلَمْ يَتَخَطَّ أَحَدًا مِنْهُمْ، وَلَمْ يُجَاوِزْ أَمْرَهُ، وَوَسِعَهُ مَا وَسَعَهُمْ)

فَإِذَا قَالُوا شَيْئًا؛ نَقُولُهُ، وَإِذَا سَكَتُوا عَنْ شَيْءٍ؛ نَسَكْتُ عَنْهُ، وَإِذَا نَفَوْا شَيْئًا؛ نَنْفِيهِ؛ هَذِهِ هِيَ طَرِيقَتُهُمْ، لَا تَتَكَلَّمُ بِشَيْءٍ عَنِ اللَّهِ وَفِي دِينِ اللَّهِ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ عِلْمَاؤُكَ وَأَثْمَتُكَ، وَخُصُوصًا أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ.

قال: (وَلَمْ يَرِغَبْ عَنْ طَرِيقَتِهِمْ وَمَذْهَبِهِمْ) لَمْ يَزْهَدْ فِيهَا وَيَتْرَكْهَا.

قال: (وَعَلِمَ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْإِسْلَامِ الصَّحِيحِ، وَالْإِيمَانِ الصَّحِيحِ؛ فَقَلَّدَهُمْ دِينَهُ وَاسْتَرَحَ) مَنْ كَانَ عَلَى ذَلِكَ، وَعَلِمَ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْإِسْلَامِ الصَّحِيحِ، وَالْإِيمَانِ الصَّحِيحِ، فَقَلَّدَهُمْ دِينَهُمْ وَاسْتَرَحَ كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: "اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ"؛ كَفَاكُمْ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ بَيَانُ هَذَا الدِّينِ، وَإِظْهَارُ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ؛ فَامْشُوا عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ.

قال: (وَعَلِمَ أَنَّ الدِّينَ إِنَّمَا هُوَ بِالتَّقْلِيدِ، وَالتَّقْلِيدُ لِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ)

المَقْصُودُ بِالتَّقْلِيدِ هُنَا: التَّقْلِيدُ الصَّحِيحُ وَهُوَ الْإِتِّبَاعُ؛ وَاسْتِعْمَالُ اللَّفْظِ الشَّرْعِيِّ أَفْضَلُ وَهُوَ الْإِتِّبَاعُ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾⁽¹⁾، ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁽²⁾؛ هَذَا هُوَ اللَّفْظُ الشَّرْعِيُّ: الْإِتِّبَاعُ؛ فَنَحْنُ نَتَّبِعُ النَّبِيَّ ﷺ، وَنَتَّبِعُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ؛ كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ"

طِيب نَتَوَقَّفُ الْآنَ سَيَدْخُلُ فِي مَوْضِعِ اللَّفْظِ وَوَجْهَهُ.



1- [التوبة:100]

2- [النساء:115]